# حجية السنة النبوية

## ومكانتها في التشريع الاسلامى

لفضيلة الشيخ عبد القادر بن حبيب الله السندى
( المدرس بمعهد الحرم المكي )

الحمد لله الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، والصلاة والسلام على رسول الهدى محمد المصطفى وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

فهذه فذلكة مجملة ، وكلمة مختصرة عن سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم الأصل الثاني للتشريع الإسلامي العظيم ، وان كنت لست فارسا من فرسان هذا الميدان الخضم الا أنى حملت حبا عظيما ، وشعورا فياضا ، وعاطفة دينية في نفسي الصغيرة نحو أولئك الامجاد الكرام من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين،الذين خدموا هذا الأصل العظيم خدمة ممتازة ضخمة لانظير لها في تاريخ الإنسانية الطويل فأتوابالعجب العجاب فى هذه الخدمة المشار إليها ، فأحببت أن يكون لى فى تمجيد هؤلاء ورفع شأنهم بعض الحظ حتى أقف به بين يدى المولى سبحانه وتعالى في يوم لاينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، وبحب هؤلاء الكرام ، وبجهودهم ، وخدماتهم الطويلة ، ورحلاتهم الشاسعة إلى أقطار العالم فى سبيل حفظ هذا الأصل الاصيل ( السنة المطهرة على صاحبها أفضل السلام واتم التسليم ) اتقرب اليه جل وعلا ان كان ليس عندي غير هذا العمل وسأذكر فى هذه الكلمة المتواضعة :

١ ــ معنى السنة : لغة ، واصطلاحا .

٢ ــ مكانتها ، ومنزلتها من التشريع الإسلامي .

٣ ــ ذكر بعض الجهود الضخمة التي قام بها العلماء المحدثون من الصحابة

والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين فى حفظها ، وصيانتها ، وذكر بعض نماذج السير لرجالها الذين كانوا حماتها وحفاظها .

أما معنى السنة لغة : فهى على وزن فعلة بمعنى مفعولة ، وجمعها السنن ، قال العلامة الامام ابن الاثير : قد تكرر في الحديث ذكر السنة ، وما تَصرَّفَ منها ، والاصل فيها الطريقة ، والسيرة ، واذا اطلقت في الشرع ، فانما يراد بها ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم ، ونهى عنه ، وندب اليه قولا ، وفعلا مما لاينطق به الكتاب العزيز ، ولهذا يقال : في أدلة الشرع الكتاب والسنة . أى القرآن والحديث . وقال أيضاً : ويجوز أن تكون من سننت الابل إذا احسنت رعيتها ، والقيام عليها ، ومنه الحديث انه نزل المحصب ، ولم يسنه — أى لم يجعله سنة يعمل بها ، وقد يفعل الشيء لسبب خاص فلا يعم غيره (١) قلت : ورد هذا المعنى اللغوى فى الاحاديث الكثيرة منها حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : رمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس بسنة — أى أنه لم يسنه لكافة الأمة ، ولكن لسبب خاص « وهو أن يرى المشركين قوة أصحابه ، وهذا مذهب ابن عباس وحده من الصحابة،وغيره يرى أن الرمل فى طواف القدوم سنة (٢) ومنها حديث أخرجه الإمام مالك فى موطئه عن جعفر ابن محمد ، عن أبيه ، عن عمر قال: لا أدرى ما أصنع بالمجوس ، فقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه أشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : سنّوا بهم سنة أهل الكتاب (٣) ، فالمقصود انها تطلق على الطريقة سواء كانت حسنة ، أو قبيحة كما جاء فى حديث أخرجه مسلم في الصحيح ، والنسائي فى السنن والامام أحمد في المسند من حديث جرير بن عبد الله البجلى — رضي الله تعالى عنه مرفوعا: من سن سنة حسنة فله أجرها ، وأجر من عمل بها ، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها (٤) ، ومنها حديث أخرجه الشيخان من حديث أبي سعيد الخدرى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا شبرا ، ذراعا ذراعا

---

١ ـ النهاية لابن الاثير ١/١٨٦

٢ ـ اخرجه الامام احمد فى المسند ١/٢٢٩ وابو داود فى السنن ، المناسك ( ٥٠ )٠

٣ ـ فتح البارى ٦/٣٦١ وانظر مسند الحافظابى يعلى برقم ٤٥٦ ، والمؤطا الزكاة (٤٢)

٤ ـ مسلم العلم ( ١٥ ) النسائى الزكـــاة( ٦٤ )مسند الامام احمد ٤/٣٥٧

حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم ، قلنا يارسول الله : اليهود والنصارى ؟ قال : فمن ؟ (١)

وبهذا المعنى اللغوى : جاء به كتاب الله تعالى كقوله تعالى فى سورة الانفال ( قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ماقد سلف ، وان يعودوا فقد مضت سنة الأولين ) (٢) وقال تعالى في سورة الحجر حاكيا عن الكفار الذين لايؤمنون بهذا القرآن : قال ( لايؤمنون به وقد خلت سنة الاولين ) (٣) وقال جل وعلا : فى سورة الاسراء : (سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا (٤) ، وقال عز من قائل في سورة الكهف : (ومامنع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى ،ويستغفروا ربهم الا أن تأتيهم سنة الأولين أويأتيهم العذاب قبلا ) (٥) ، وقال جل وعلا في سورة الاحزاب : (ماكان على النبي من حرج فيما فرض الله له ، سنة الله في الذين خلوا من قبل ، وكان أمر الله قدرا مقدورا ) (٦) ، وقال أيضاً فى سورة الاحزاب : ( سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا (٧) وقال جل وعلا : في سورة فاطر : ( فهل ينظرون الا سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا (٨) ، وقال أيضا في سورة غافر : ( فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا ، سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون )(٩) وقال جل وعلا فى سورة الفتح : ( سنة الله التي قد خلت من قبل ، ولن تجد لسنة الله تبديلا) (١٠) وقال فيسورة آل عمران : ( قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الأرض ، فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ) (١١) وقال في سورة النساء : (يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ، ويتوب عليكم والله عليم حكيم ) (١٢) ، فكلمة السنة الواردة فى هذه الآيات الكريمات بمعناها اللغوى ، وهو الطريقة ، والسيرة، وقد اقتصرت على نقل هذه الكلمة من

---

١ - البخارى الاعتصام بالسنة ( ١٤ )
٢ - سورة الانفال رقم الاية ( ٣٨ ) ..
٣ - سورة الحجر رقم الاية ( ١٣ ) ..
٤ - سورة الاسراء رقم الاية ( ٧٧ ) ..
٥ - سورة الكهف رقم الاية ( ٥٥ ) ..
٦ - سورة الاحزاب رقم الاية ( ٣٨ ) ..
٧ - سورة الاحزاب رقم الاية ( ٦٢ ) ..
٨ - سورة فاطر رقم الاية ( ٤٣ ) ..
٩ - سورة غافر رقم الاية ( ٨٥ ) ..
١٠ - سورة الفتح رقم الاية ( ٢٣ ) ..
١١ - سورة آل عمران رقم الاية ( ١٣٧ ) ..
١٢ - سورة النساء رقم الاية ( ٢٦ ) .. ومسلم العلم ( ٦ ) ..

الكتاب الكريم ، والسنة النبوية لكونهما منبعا أصيلا ، ومنهلا عذبا لأخذ العلوم كلهـــا .

معنى السنة اصطلاحا :

واما معنى السنة فى اصطلاح علماء الإسلام فقد اختلف فيه باختـــــلاف اغراضهم ، وفنونهم ،

١ ــ فهي عند العلماء الاصوليين عبارة عما صدر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ماعدا القرآن الكريم من قول ، أو فعل ، أو تقرير ، فيخرج من السنة عندهم ماصدر عن غيره عليه الصلاة والسلام رسولا كان أو غير رسول ، وما صدر عنه صلى الله عليه وسلم قبل البعثة .

٢ ــ وأما الفقهاء فهي عندهم عبارة عن الفعل الذى دل الخطاب على طلبه من غير ايجاب ، ويرادفها المندوب والمستحب ، والتطوع ، والنفل ، والتفرقة بين معاني هذه الالفاظ اصطلاح خاص لبعض الفقهاء ، وقد تطلق عندهم على مايقابله البدعة منه قولهم طلاق السنة كذا ، وطلاق البدعة كذا ، فهم بحثوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى تدل أفعاله على حكم شرعي

٣ ــ وأما المحدثون ، فإن الرأى السائد بينهم ، ولاسيما المتأخرين منهم ان الحديث والسنة مترادفان متساويان يوضع أحدهما مكان الآخر وهذا هو بحثنا اليوم (١) وعلى هذا المعنى قال العلامة الامام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : الحديث النبوي عند الاطلاق ينصرف إلى ماحدث به رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد النبوة من قول أوفعل أو اقرار، فان سنته صلى الله عليه وسلم ثبتت عن هذه الوجوه الثلاثة وان كان تشريعا ايجابا أو تحريما أو إباحة وجب اتباعه فيه صلى الله عليه وسلم فان الآيات الدالة على نبوة الأنبياء دلت على انهم معصومون فيما يخبرون به عن الله تعالى فلا يكون خبرهم الا حقاً (٢) فالسنة

---

١ ــ نقلا عن رسالة الماجستير التى قدمها اخونا الشيخ لقمان السلفى الى معهـــد القضاء العالى بالرياض ..

٢ ــ مجموع فتاوى شيخ الاسلام ٦ــ١٠٪١٨

على هذا المعنى فى اصطلاح أهل الحديث ما أثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل ، أو تقرير ، أو صفة خلقية .

قال العلامة السيد سليمان الندوى — وهو من علماء الأحناف الكبار فى الهند وقد توفي رحمه الله تعالى :

( وأما الذين فرقوا بين الحديث والسنة فقد لاحظوا بينهمامعناهما اللغوى فقالوا : ان الحديث اسم من التحديث وهو الاخبار ثم سمى به قول ، أو فعل أو تقرير نسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم

واما السنة فهي تبعا لمعناها اللغوى كانت تطلق على الطريقة الدينية التي سلكها الرسول صلى الله عليه وسلم في سيرته المطهرة ، لأن معنى السنة فى في اللغة الطريقة والسيرة كما سبق بيانه . فإن كان الحديث عاما يشمل قول النبي صلى الله عليه وسلم ، وفعله ، وتقريره فالسنة خاصة باعمال النبي صلى الله عليه وسلم وفى ضوء هذا التباين الظاهري بين المفهومين نجد أن بعض العلماء يقولون احيانا هذا الحديث مخالف للقياس والسنة والاجماع ، ويقو لون أحيانا إمام في الحديث ، وإمام فى السنة وإمام فيهما معا ، فالحديث على هذا هو كل قول ، أو فعل ، أو تقرير نسب إلى المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وبتعبير آخر الحديث هو الرواية اللفظية لأقوال الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأفعاله ، وتقريراته .

واما السنة فهى اسم لكيفية عمل الرسول صلى الله عليه وسلم المنقول الينا بالعمل سواء كان متواترا أو احادا بأنه عمله النبي صلى الله عليه وسلم ثم من بعده الصحابة ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وهلم جرا ، ولا يشترط تواترها بالرواية اللفظية فيمكن أن يكون الشيء متواترا عملا ولا يكون متواترا معنى ، واما المتداول بين علماءالحديث المتأخرين كما سبق فانهما فى معنى واحد واطلاقهما واحد ، ولا يخفى ارتباط معناهما اللغوى بالمعنى الاصطلاحي ، وهذا واضح جلى إن شاء الله تعالى ) (١)

## مكانة السنة ومنزلتها من التشريع الإسلامي :

واما مكانتها ، ومنزلتها من التشريع الإسلامي ، فلقد انتهى العلماء المحققون من السلف والخلف رحمهم الله تعالى إلى أن الحديث النبوى الشريف والذى صح حسب القواعد الاصولية حجة على جميع

---

١ ـ انظر تحقيق معنى السنة ص ( ١٨ )نقلا عن رسالة الاخ لقمان السلفى ..

الامة ، وقد أجمعوا على ذلك اجماعا استناده الكتاب الكريم ، والسنة النبوية .

واما الكتاب فقوله : جل وعلا في سورة النساء ( أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ، فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة ، وآتيناهم ملكا عظيما (١)

قال الامام السيوطي : اخرج الزبير ابن بكار في الموفقيات عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان معاوية قال : يابني هاشم انكم تريدون ان تستحقوا الخلافة كما استحقيتم(٢) النبوة ولا يجتمعان لأحد ، وتزعمون ان لكم ملكا ؟ فقال له ابن عباس أما قولك : إنا نستحق الخلافة بالنبوة ، فان لم نستحقها بالنبوة فبم نستحقها ؟ واما قولك ان النبوة والخلافة لايجتمعان لأحد ، فأين قول الله تعالى ( فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما ) فالكتاب النبوة ، والحكمة السنة (٣) هذا هو الشاهد من ايراد هذه الرواية ، وقد يسأل السائل أين اسناد هذه الرواية وان كانت موقوفة ، فأقول له قد بحثت عن هذا الكتاب ببعض البحث حتى اطلع على اسناده فلم أجد له اثرا في الفهارس الموجودة بين أيدينا ، وقد ذكره ابن النديم في الفهرست وعمر ابن شبه النميرى في تاريخ المدينة وهو كتاب عظيم نافع جمعه الامام الزبير ابن بكار الاسدى المدني من شيوخ ابن ماجه رحمه الله تعالى وهو صاحب كتاب جمهرة نسب قريش المطبوع منه الجزء الأول بتحقيق الاستاذ محمود محمد شاكر ، ولرواية ابن عباس هذه الموقوفة شاهد قوى من مرسل قتادة ابن دعامة السدوسي ، والحسن البصري رحمهما الله تعالى اخرجهما العلامة الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى في تفسيره تحت قوله تعالى : ( ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ، ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم ) قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل في معنى الحكمة التي ذكرها الله تعالى في هذا الموضع ، فقال بعضهم : هي السنة ، ثم قال : وذكر من قال ذلك ثم ساق اسناده بقوله : حدثنا بشر بن معاذ ، قال حدثنا يزيد ، قال :حدثنا سعيد عن قتادة : الحكمة : أى السنة(٤) قلت : لايخفى على من له علم باسماء الرجال ان هذا الاسناد هو من أصح الاسانيد المروية إلى قتادة بن دعامة السدوسي الامام الثقة الحافظ الثبت التابعي.

---

١ ـ سورة النساء ( ٥٤ ) ..
٢ ـ كذا فى المطبوع والصواب : استحققتم
٣ ـ الدر المنثور ٢/١٧٣
٤ ـ ابن جرير الطبرى ٨٦ـ٣/٨٧

وقال العلامة الامام ابن كثير رحمه الله تعالى فى تفسيره فى هذا الموضع الحكمة السنة قاله الحسن ، وقتادة ، ومقاتل بن حيان ، وأبو مالك وغيرهم(١) وهكذا فسرها فى جميع المواضع التي وردت في القرآن الكريم ، الحكمة هى السنة ، وهكذا قال العلامة الشوكاني في تفسيره فتح القدير (٢)

فإذا علم هذا وفهم فاسمعوا ماقال الله تعالى فى سورة البقرة : ( كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ، ويعلمكم الكتاب والحكمة ، ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون ) (٣) وقال ايضاً فى هذه السورة ( ولا تتخذوا آيات الله هزوا واذكروا نعمة الله عليكم ، وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به ، واتقوا الله ، واعلموا ان الله بكل شيء عليم ) (٤) ، وقال تعالى فى سورة آل عمران حاكيا عن عبده ورسوله عيسى عليه الصلاة والسلام : ( ويعلمه الكتاب والحكمة ، والتوراة والانجيل ) (٥)

فهذه الآية ، وآية أخرى وهى قوله تعالى : ( واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ، ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال : أأقررتم ، واخذتم على ذلكم إصرى ، قالوا : أقررنا قال : فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين)(٦) فهذا نص صريح على أن الله تعالى لم يخص نبيه صلى الله عليه وسلم وحده بالسنة بل انه جل وعلا سن هذه السنة لجميع رسله ، وأنبيائه عليهم الصلاة والسلام الذين أكرمهم بالنبوة والرسالة ، ونحو هذا المعنى قوله تعالى فى سورة المائدة ( إذ قال الله ياعيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك اذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا ، واذ علمتك الكتاب والحكمة ، والتوراة والانجيل )(٧) وقال تعالى فى سورة آل عمران ( لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم . ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين )(٨) وقال عز من قائل : في سورة النساء : ( ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم ان يضلوك ، وما يضلون إلا أنفسهم ، وما يضرونك من شيء ، وانزل عليك

---

١ ـ تفسير ابن كثير ١/١٨٤
٢ ـ تفسير فتح القدير ١/١٢٤
٣ ـ البقرة ( ١٥١ ) ..
٤ ـ البقرة ٢٣١
٥ ـ آل عمران ( ٤٨ ) ..
٦ ـ آل عمران ( ٨١ ) ..
٧ ـ المائدة ( ١١٠ ) ..
٨ ـ آل عمران ( ١٦٤ ) ..

الكتاب والحكمة ، وعلمك مالم تكن تعلم ، وكان فضل الله عليك عظيما) (١) وقال جل وعلا فى حق أمهات المؤمنين في سورة الاحزاب ( واذكرن مايتلى في بيوتكن من آيات الله ، والحكمة ان الله كان لطيفا خبيرا) (٢) ، قال العلامة السيوطي تحت هذه الآية الكريمة ، أخرج ابن سعد وعبد الرزاق ، وابن جرير الطبرى ، وابن المنذر ، وابن ابي حاتم عن قتادة رضي الله تعالى عنه في قوله تعالى ثم ذكر هذه الآية ثم قال القرآن والسنة عَتَبَ عليهن بذلك (٣)

وقال جل وعلا : فى سورة الجمعة ( هو الذى بعث فى الاميين رسولامنهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين ) (٤) وهذه جملة كبيرة من الآيات الكريمات تنص على أن السنة هى وحى الله تعالى إلى سائر رسله ، وانبيائه عليهم الصلاة والسلام . ومنهم هذا النبي الكريم عليه الصلاة والسلام . قال الامام ابو جعفر محمد بن جرير الطبرى تحت قوله تعالى : « واذكروا نعمة الله وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة » قال : وما أنزل عليكم من الحكمة وهى السنن التي علمكموها رسول الله صلى الله عليه وسلم ،وسنها لكم (٥) ، وقال ايضا تحت قوله تعالى : ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة ، والانجيل ، ثم ساق اسناده إلى قتادة برقم ( ٨٠٧١ ) وقال الحكمة السنة وكذا نقل عن عبد الملك بن جريج باسناده الصحيح . وقال ابو جعفر مفسرا لهذه الآية وهى قوله تعالى : ( ويعلمهم الكتاب والحكمة ) الآية .. قال : يعلمهم الله كتاب الله الذى أنزله عليه ، ويبين لهم تأويله ، ومعانيه ، والحكمة السنة التي سنها الله تعالى للمؤمنين على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وبيانه لهم ثم أيد هذا المعنى بأثر قتادة بسياق طويل وهو برقم (٨١٧٧) واسناده من أصح الاسانيد المروية إلى قتادة وأيد هذا المعنى العلامة السيوطي .. في رسالته القيمة ( مفتاح الجنة فى الاحتجاج بالسنة ) نقلا عن ائمة الاسلام الكبار مثل الامام الشافعي ، وابي حنيفة ، وأحمد ، ومالك رحمهم الله تعالى ونقل أقوالهم ، ونصائحهم فيما يتعلق بالعمل بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم(٦) ونحو هذا المعنى فى سورة النور ( قال الله تعالى ) : ( انما كان قول المؤمنين اذا دعوا إلى الله ورسوله

١ ـ النساء ( ١١٣ ) .. ٢ ـ الاحزاب ( ٣٤ ) .. ٣ ـ الدر المنثور ٥/١٩٩
٤ ـ الجمعة ( ٢ ) ٥ ـ تفسير ابن جرير الطبرى ٥/١٥ من نسخة العلامة احمد شاكر
٦ ـ ص ( ٨ )

ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا ،واطعنا واولئك هم المفلحون ) (١) ، ولقد عرفنا ان شاء الله تعالى خلال سرد هذه الآيات البينات ان السنة النبوية لها مكانة سامية ، ومنزلة رفيعة فى التشريع الإسلامي ، وهى مفسرة ، ومبينة لكتاب الله تعالى ومقيدة لعمومه كما قال تعالى في هذا المعنى فى سورة الانعام ( ومالكم ألاّ تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه ، وقد فصل لكم ماحرم عليكم الا ما اضطررتم اليه ، وان كثيرا ليضلون باهوائهم بغير علم ان ربك هو أعلم بالمعتدين ) (٢)

وقال تعالى : في سورة الاعراف : ( ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون (٣) ) ، وقال تعالى في سورة الإسراء : ( وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا اية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب ، وكل شيء فصلناه تفصيلا) (٤) وقال تعالى : ( الر : كتاب احكمت آياته ، ثم فصلت من لدن حكيم خبير ) (٥) والآيات فى هذا المعنى كثيرة ، ولو تضرب الامثلة لبيان هذا التفصيل الوارد في الكتاب الكريم لم يكف لنا النهار كله ، فالآيات كلها تعطينا بيانا واضحا ، وتفسيرا شافيا عن منزلة السنة من القرآن الكريم ، ولقد عرفنا جميعا ان شاء الله تعالى حجية السنة والاستدلال بها على ما يستدل به من أحكام الشرع حلالا ، وحراما ، وأمرا ، ونهيا ، وقال جل وعلا : فى سورة النساء : ( فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لايجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ، ويسلموا تسليما ) (٦) قال السيوطي (٧) أخرج عبد الرزاق ، واحمد ، وعبد بن حميد ، والبخارى، ومسلم ، وأبو داود ، والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجه ، وابن جرير الطبرى ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن حبان ، والبيهقي من طريق الزهري ان عروة بن الزبير حدث عن الزبير ابن العوام ، انه خاصم رجلا من الانصار وقد شهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في شراج من الحرة كانا يسقيان به كلاهما النخل ، فقال الأنصارى سرح الماء يمر فأبى عليه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسق يازبير ثم أرسل الماء إلى جارك فغضب الانصارى وقال : يارسول الله ان كان ابن

---

١ ـ النـــور ( ٥١ ) ٢ ـ الانعام ( ١١٩ ) ٣ ـ الانعام ( ١٢٠ )
٤ ـ الاعـــراف ( ٥٢ ) ٥ ـ هـــود (( ١ ) ٦ ـ النساء ( ٦٥ ) ..
٧ ـ الدر المنثور ٢/١٨٠

عمتك ، فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : اسق يازبير ، ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر ، ثم ارسل الماء إلى جارك ، واستوعى رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير حقه ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك اشار على الزبير برأى اراد فيه السعة له وللانصارى ، فلما لم يرض الانصارى استوعى للزبير حقه في صريح الحكم فقال الزبير : مـا احسب هذه الآية نزلت الا في ذلك ، فلا وربك وهكذا أخرجه الحميدى فى مسنده ، وسعيد بن منصور ، وعبد بن حميد ، فقضى للزبير ، فقال الرجل انما قضى له لأنه ابن عمته ، فأنزل الله تعالى هذه هذه الآية ، وهكذا أخرجه الامام ابن الجارود فى المنتقى ، والاسماعيلي فيما نقل عنه الحافظ فى الفتح (١) .

قلت : ان هذه الآية الكريمة ، وما في معناها نص صريح فى وجوب اتباع سنة الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم، وقال العلامة ابو جعفر بن جرير الطبرى مفسرا لهذه الآية فليس الامر كمـا يزعمون انهم يؤمنون بما انزل اليك ، وهم يتحاكمون إلى الطاغوت ، ويصدون عنك إذا دعوا اليك يامحمد ، واستأنف القسم جل ذكره ، فقال : وربك يامحمد لايؤمنون ، أى لايصدقون بى ، وبك وبما أنزل اليك ، حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، يقول : حتى يجعلوك حكما بينهم فيما اختلط بينهم من أمورهم ، فالتبس عليهم حكمه ، قال رحمه الله تعالى : شجر يشجر شجورا ، وشجرا ، وتشاجر القوم اذا اختلفوا فى الكلام والامر ثم لايجدوا فى أنفسهم حرجا مماقضيت أى لاتأثم بانكارها ماقضيت وشكها فى طاعتك ، وان الذى قضيت بـه بينهم حق ، لايجوز لهم خلافه ، ثم ساق أسانيده الكثيرة بهذا المعنى فى أسباب نزول هذه الآية ، ومنها حديث الزبير بن العوام رضي الله تعالى عنه المتفق عليه بين الشيخين وغيرهما ، وحققها ، وخرجها العلامة احمد محمد شاكر في تعليقه على ابن جرير الطبرى(٢) وللامام عمدة المفسرين العلامة ابن كثير رحمه الله تعالى كلام جيد فى تفسير هذه الآية الكريمة فليراجع منه (٣) وقال الله تعالى : ( لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا ، قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا ، فليحذر الذين يخالفون عن أمره ان تصيبهم فتنة ، أو يصيبهم عذاب اليم ) (٤)

---

١ ـ فتح الباري ٥/٢٦

٢ ـ ابن جرير الطبرى ٥٢٤ ـ ٨/٥٢٥

٣ ـ تفسير ابن كثير ٢٥٢ ـ ١/١٢٥٤

٤ ـ سورة النور ( ٦٣ )

قال العلامة الامام ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيره تحت هذه الآية بعد ايراده روايات عديدة في أسباب نزولها ، قال : ( يخالفون عن أمره ) أي عن أمر الرسول صلى الله عليه وسلم وهو سبيله ، ومنهاجه ، وطريقته ، وسنته ، وشريعته ، فتوزن الأقوال والاعمال ، بأقواله وأعماله ، فما وافق ذلك قبل ، وما خالفه فهو مردود على قائله ، وفاعله ، كائنا من كان ، كما ثبت في الصحيحين وغيرهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد ، ( فليحذر ) وليخش من خالف شريعة الرسول صلى الله عليه وسلم باطنا ، وظاهرا ، ( ان تصيبهم فتنة ) اى في قلوبهم من كفر ، أو حد ، أو حبس ، أونحوذلك كما روى الامام أحمد ، فقال : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن همام بن منبه ، قال : هذا ما حدثنا عن ابي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلي ومثلكم كمثل رجل استوقد نارا فلما أضاءت ماحوله جعل الفراش ، وهذه الدواب اللائى يقعن في النار وجعل يحجزهن ، ويغلبنه فيقتحمن فيها ، قال : فذلك مثلي ، ومثلكم أنا آخذ بحجزكم عن النار ( أمنعكم عن النار ) فتغلبوني وتقتحمون فيها ، أخرجاه من حديث عبد الرزاق ، قلت : أخرجه البخاري(١) ومسلم (٢) والترمذي (٣) والامام أحمد في مسنده (٤) والبغوى فى شرح السنة(٥) ورواه همام بن منبه عند البغوى بالاخبار وقال العلامة الامام البغوى فى نهاية الحديث هذا حديث متفق على صحته أخرجه مسلم عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق ، وأخرجاه من أوجه عن أبي هريرة اهـ . ونحو هذا المعنى قوله جل وعلا فى سورة النور : ( انما كان قول المؤمنين اذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا وأطعنا واولئك هم المفلحون. ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فاولئك هم الفائزون ) (٦).

والآيات في هذا المعنى كثيرة جدا وكلها نص صريح فى وجوب اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم واتباعه يتمثل في اتباع سنته الصحيحة الثابتة

---

١ - البخارى : كتاب الاعتصام ، كتاب الانبياء ( ٦ ) الرقاق ( ٢٦ ) ..

٢ - مسلم : الفضائل حديث رقم ( ١٧ )

٣ - الترمذى الادب ( ٨٢ )

٤ - مسند الامام احمد ٢/١٣١٢/٢٤٤ ،

٥ - البغوى شرح السنة ١/١٨٩

٦ - سورة النور ( ٥١ ) ( ٥٢ )

عنه صلى الله عليه وسلم ، وتثبت حجية السنة النبوية ثبوتا واضحا مبينا من قوله جل وعلا فى سورة البقرة قال تعالى : ( وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه ) (١). والشاهد في هذه الآيـة الكريمة هو انه صلى الله عليه وسلم كان يصلى إلى البيت المقدس قبل ان يؤمـر بالتوجه إلى الكعبة المشرفة ، وكان صلاته صلى الله عليه وسلم إلى بيت المقدس بأمر من الله تعالى ولكن أين هذا الأمر فى القرآن الكريم ؟ قال العلامة الامام ابن كثير رحمه الله تعالى ملخصا ماذكره قبل هذا الكلام : وحاصل الامر انه كان صلى الله عليه وسلم أمر باستقبال الصخرة من بيت المقدس فكان بمكة يصلى بين الركنين ، فيكون بين يدى الكعبة وهو مستقبل صخرة بيـت المقدس ، فلما هاجر إلى المدينة تعذر الجمع بينهما فامره الله بالتوجه إلى بيت المقدس،قاله ابن عباس والجمهور ، ثم قال : وقد جاء فى هذا الباب احاديث كثيرة (٢). وهكذا قال الامام العلامة أبو جعفر في تفسيره (٣) أخرج الامام الشافعي فى الرسالة (٤) والامام أحمد في المسند (٥) وابو داود (٦) والترمذي (٧) وابن ماجه (٨) والبغوى فى شرح السنة (٩) وحسنه الترمذي ، وصححـه الحاكم (١٠) من حديث ابي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا ألفين أحدكم متكئا على اريكته ، يأتيه الامر من أمرى مما أمرت به ، أو نهيت عنه ، فيقول لا أدرى ما وجدناه فى كتاب الله تعالى اتبعناه، قال العلامة الامام البغوى في شرح السنة : قال الأزهرى : كل ما اتكىء عليه فهو اريكة ، وأراد بهذه الصفة أصحاب الترفه ، والدعة ، الذين لزموا البيوت ، وقعدوا عن طلب العلم ، وفى الحديث دليل على أنـه لاحاجة بالحديث إلى ان يعرض على الكتاب ، وانه مهما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان حجـة بنفسه ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم ألا انى أوتيت الكتاب ومثله معه ، قلت: أورده السيوطي فى مفتاح الجنة فـى

---

١ ـ البقرة ( ١٤٣ )
٢ ـ تفسير ابن كثير ١/١٩٥
٣ ـ تفسير ابن جرير الطبرى ١٣٨ـ١٤٠/
٤ ـ رسالة الامام الشافعى ـ ٢٩٥ ـ
٥ ـ مسند الامام أحمد ٦/٨
٦ ـ ابو داود رقم ـ ٤٦٠٥ ـ
٧ ـ الترمذى ـ ٢٦٦٥ ـ
٨ ـ ابن ماجة المقدمة ـ ١٣
٩ ـ شرح السنة ٢٠٠ـ١/٢٠١
١٠ ـ الحاكم فى المستدرك ١٠٨ـ١/١٠٩

الاحتجاج بالسنة ، وقال رحمه الله تعالى : واخرج البيهقي بسنده عن المقدام بن معد يكرب رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم أشياء يوم خيبر من الحمار الاهلى وغيره فقال صلى الله عليه وسلم يوشك ان يقعد الرجل منكم على اريكته يحدث بحديثي ، فيقول بيني وبينكم كتاب الله تعالى فما وجدنا فيه حلالا استحللناه وما وجدنا فيه حراما حرمناه وانما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما حرم الله، الحديث ، أخرجه العلامة البغوى فى شرح السنة برقم(١٠١) وخرجه الشيخ شعيب في التعليق وقال : أخرجه أحمد والدرامى وابو داود ، والترمذي ، وابن ماجة وقال : حسنه الترمذي اهـ قلت : نعم أخرجه الامام الترمذي فى الجامع تحت باب ماجاء عنه ان يقال عند حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحسنه ثم قال : وروى بعضهم عن سفيان بن عيينة عن ابن المنكدر عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلا ، وسالم ابى النضر عن عبيد الله ابن ابي رافع عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان ابن عيينة اذا روى هذا الحديث على الانفراد بين حديث محمد بن المنكدر من حديث سالم ابى النضر ، واذا جمعهما روى هكذا ، وأبو رافع مولى النبي صلى الله عليه وسلم قال العلامة المحدث المباركفورى روى هذا الحديث موقوفا على ابي رافع كما ترى فى طريق الترمذي ورواه أبو داود فى السنن مرفوعا ثم قال : رواه أبو داود فى السنن فقال : حدثنا أحمد بن محمد بن حنبل ، وعبد الله بن محمد النفيلى ، قالا : حدثنا سفيان ، عن أبي النضر ، عن عبيد الله بن ابى رافع ، عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم ذكر الحديث . قلت : الذين رووه بالرفع هم أكثر عددا من الذين رووه بالوقف ، ورواه البغوى مرفوعا وكذا ابن ماجه ، وأبو داوود ، وأحمد في المسند ، والدارمى فى سننه من غير هذا الوجه مرفوعا برقم (٥٩٢) ثم قال العلامة المباركفورى وهذا الحديث دليل من دلائل النبوة ، وعلامة من علاماتها ، فقد وقع ما أخبر به صلى الله عليه وسلم فان رجلا قد خرج فى البنجاب من أقليم الهند . وسمى نفسه بأهل القرآن ، شتان بينه وبين أهل القرآن بل هو من أهل الالحاد ، وكان قبل ذلك من الصالحين ( قلت ماكان من الصالحين ولم يتمكن الايمان من قلبه) فأضله الشيطان ، وأغواه ، وابعده عن الصراط المستقيم فتفوه بمالا يتكلم به

أهل الاسلام ، فاطال لسانه فى رد الأحاديث النبوية بأسرها ردا بليغا ، وقال هذه كلها مكذوبة ، ومفتريات على الله تعالى ، وانما يجب العمل على القرآن العظيم فقط دون أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم ، وان كانت صحيحة متواترة ، ومن عمل على غير القرآن فهو داخل تحت قوله تعالى : ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الكافرون، وغير ذلك من أقواله الكفرية وتبعه على ذلك كثير من الجهال ، وجعلوه إماما ، وقد افتى علماء العصر بكفره ، والحاده ، وأخرجوه من دائرة الاسلام كما قالوا ، ثم خرج هذا الحديث بقوله : اخرجه الامام أحمد في مسنده ، وأبو داوود ، وابن ماجة ، والبيهقي فى الدلائل (١) قلت: أخرجه الامام أحمد فى مسنده من ثلاث طرق، طريق ابي هريرة رضي الله تعالى عنه وفيه ابو معشر وهو ضعيف الا أنه يكتب حديثه ويستشهد به ، وطريق آخر وهو طريق أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم واسمه أسلم وهو طريق جيد ، وطريق ثالث طريق المقدام بن معد يكرب رضي الله تعالى عنه وهو أيضا طريق جيد ، وانهى هذا الموضوع بآيات من ذكر الحكيم قال تعالى في سورة الحشر : (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا )(٢) وقال تعالى : (وماكان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا )(٣) وقال تعالى : (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا. ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله ، وصدق الله ورسوله ومازادهم الا ايمانا وتسليما (٤)

وقال جل وعلا فى سورة الأحزاب: (يوم تقلب وجوههم فى النار يقولون: ياليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا (٥) وقال جل وعلا : ( يأيها الذين آمنوا أطيعو الله وأطيعوا الرسول واولى الامر منكم ، فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير واحسن تأويلا)(٦) وقال عز من قائل في سورة الحديد : ( يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل

---

١ ـ تحفة الاحوذى ٣/٣٧٤
٢ ـ الحشر ـ ٧ ـ
٣ ـ الاحزاب ٣٦
٤ ـ احزاب ٢٢
٥ ـ الاحزاب ٦٦
٦ ـ النساء ٥٩

لكم نورا تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم ) . فالايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم هو الايمان الكامل بما جاء به من عند الله تعالى من كتاب وسنة صحيحة ثابتة والعمل بهما ظاهرا وباطنا وتسليم الامر اليهما والدعوة اليهما ، والاستماتة في سبيلهما حتى يأتيه الموت فيلقى ربه بلقاء عظيم مرضى .

## جهود العلماء فى حفظ السنة :

أما جهود العلماء المحدثين من الصحابة ومن تبعهم فى حفظ السنة النبوية فانها جهود مباركة ضخمة ، وقعت مصداقا لقوله جل وعلا فى سورة الحجر ( انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ) (١) ولقوله جل وعلا : فى سورة التوبة : ( فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون (٢) ومصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم فى حديث أخرجه الامام أحمد فى المسند (٣) وأبو داوود فى السنن (٤) والترمذي فى الجامع (٥) وابن ماجة (٦) والدارمى (٧) فى سننيهما عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : نضر الله أمرأ سمع منى حديثا فحفظه ، حتى يبلغه فرب مبلغ احفظ له من سامع قال الامام السيوطي : ( فى مفتاح الجنة فى في الاحتجاج بالسنة ) هذا الحديث متواتر (٨) وقال فى التدريب روى من ثلاثين صحابيا ، وقال الشافعي رحمه الله تعالى : فلما ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى استماع مقالته ، وحفظها ، وادائها دل على انه لا يأمر أن يؤدى عنه الا ماتقوم به الحجة ، على من أدى اليه ، وأن ما يؤدى عنه حلال يؤتى ، وحرام يجتنب ، وحد يقام ، ومال يؤخذ ، ويعطى ، ونصيحة في دين ، ودنيا ، أخرج الامام نصر المقدسي فى كتاب الحجة على تارك المحجة بسنده عن أبي الدرداء رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من غدا أو راح في طلب سنة مخافة ان تندرس كان كمن غدا أو راح فى سبيل الله ، ومن كتم علما علمه الله إياه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار ، وأخرج عن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اذا

---

١ ـ الحجر ٩ ٢ ـ التوبة ١٢٢

٣ ـ مسند الامام احمد ١/٤٣٧ ، ٣/٢٢٥ ، ٤/٨٠ ـ ٤/٨٢ ـ ١٨٣ـ٥

٤ ـ سنن ابى داود العلم ١٠ ٥ ـ الترمذى العلم ٧

٦ ـ ابن ماجه المقدمة ٨ ٧ ـ الدارمي مقدمة ٢٠ ٨ ـ ص ٦

ظهرت البدع فى امتي ، وشتم أصحابي فليظهر العالم علمه فان لم يفعل فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ومن هنا كانت تلك الجهود الضخمة المباركة التي كانت فريدة فى نوعها ، وعزيزة في وجودها ولا يوجد لها مثيل فى سائر الأمم الماضية ، يقول الدكتور اسبرنكر أحد علماء الالمان البارزين فيما نقل عنه العلامة المحدث المباركفورى في سيرة البخارى قال : ان علم أسماء الرجال اختصت به هذه الأمة الإسلامية دون سائر الامم ، وانه مفخرة كبيرة للمسلمين ، وثروة علمية هائلة جمعت لهم من أسلافهم ، وميدان خضم ولهم فى ذلك أقدام راسخة ، قلت : هكذا يمجد هذا المستشرق هذا العلم الشريف وهو بكلامه هذا يقضى على جميع الشبه التافهة التي أوردها أعداء السنة النبوية حديثا ، وقديما ، قال الامام البخارى رحمه الله تعالى فى الجامع الصحيح في كتاب العلم ، باب الخروج فى طلب العلم — ورحل جابر بن عبد الله مسيرة شهر إلى عبد الله بن انيس فى حديث واحد ، وأشار رحمه الله تعالى بهذا التعليق إلى الحديث رواه فى كتاب الأدب المفرد فى باب المعانقة ص٣٣٧ من طريق عبد الله بن محمد بن عقيل انه سمع جابر بن عبد الله يقول : بلغني من رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم حديث سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاشتريت بعيرا ، ثم شددت رحلى فسرت اليه شهرا حتى قدمت الشام ، فاذا عبد الله ابن انيس ، فقلت للبواب : قل له : جابر على الباب ، فقال : ابن عبدالله؟ قلت نعم .. فخرج عبد الله بن انيس فاعتنقني ، فقلت : حديث بلغني عنك انك سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فخشيت أن أموت ، أو تموت قبل أن أسمعه فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يحشر الله الناس يوم القيامة عراة ، غرلا ، بهما ، قلنا مابهما ؟ قال : ليس عليهم شيء ، فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب ، انا الملك ، أنا الديان ، لاينبغي لأحد من أهل الجنة يدخل الجنة ، وأحد من أهل النار يطلبه بمظلمة — يعني لايدخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار الا بعد تصفية الحساب . قال الحافظ فى الفتح بعد ايراد حديث جابر هذا فى رحلته إلى عبد الله بن انيس: وفى هذا الحديث ما كان عليه الصحابة من الحرص على تحصيل السنن النبوية قال الخطيب البغدادى فى رسالته القيمة ( الرحلة في طلب الحديث ) باسناده عن أبي عثمان النهدى قال : بلغني عن

أبي هريرة حديث انه قال : ان الله ليكتب لعبده بالحسنة الواحدة الف الف حسنة فحججت ذلك العام ، ولم أكن اريد الحج الا للقائه فى هذا الحديث فأتيت أبا هريرة ، فقلت : ياأبا هريرة بلغني عنك حديث فحججت العام ، ولم أكن أريد الحج الا لألقاك ، قال : فما هو ؟ قلت : ان الله ليكتب لعبده المؤمن بالحسنة الواحدة الف الف حسنة فقال أبو هريرة : ليس هكذا قلت : انما قلت ان الله ليعطى عبده المؤمن بالحسنة الواحدة الفى الف حسنة ، ثم قال : أوليس فى كتاب الله تعالى ذلك ؟ قلت : كيف ؟ قال : لأن الله تعالى يقول : ( من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة ) والكثير عند الله أكثر من الفى الف والف الف اه وقال الخطيب ايضا فى هذه الرسالة باسناده الطويل : عن عطاء بن ابى رباح قال : خرج أبو ايوب الانصارى إلى عقبة ابن عامر وهو بمصر يسأله عن حديث سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما قدم أتى منزل مسلمة ابن مخلد الأنصارى وهو أمير مصر ، فأخبربه فعجل فخرج اليه فعانقه ، وقال : ما جاء بك يا أبا أيوب قال حديث سمعته من رسو ل الله صلى الله عليه وسلم ولم يبق أحد سمعه غيرى وغيرك فى ستر المؤمن قال : نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من ستر مؤمنا فى الدنيا ستره الله يوم القيامة ، فقال له أبو أيوب : صدقت ثم انصرف ابو أيوب إلى راحلته فركبها راجعا إلى المدينة ، قلت : هكذا نجدهم رضي الله تعالى عنهم أجمعين حريصين أشد الحرص على حفظ السنة وصيانتها ، ثم قال الخطيب باسناده عن عبد الله بن بريدة ، إن رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم رحل إلى فضالة بن عبيد وهو بمصر ، فقدم عليه ، فقال : انى لم آتك زائرا ولكن سمعت أنا وأنت حديثا من رسول الله صلى الله عليه وسلم رجوت ان يكون عندك منه علم قال : فماهو ؟ قال : كذا وكذا ، وساق الحديث ،وهكذا نجد سيد التابعين وعالم المدينة الامام سعيد بن المسيب ، كما قال الحافظ الامام ابن كثير فى البداية والنهاية قال مالك عن يحى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب قال : كنت ارحل الايام والليالى فى طلب الحديث الواحد . قال الحافظ الامام ابن ابي حاتم الرازى الحنظلي في مقدمة الجرح والتعديل فى ترجمة أبيه الامام أبي حاتم الرازى عند ذكر رحلته فى طلب الحديث قال ابن ابي

حاتم : سمعت أبي يقول : أول ما خرجت فى طلب الحديث اقمت سبع سين أحصيت مامشيت على قدمىّ زيادة على الف فرسخ ، لم أزل احصى فلما زاد على الف فرسخ تركته ، واما ماكنت سرت أنا من الكوفة إلى بغداد فمالا أحصى كم مرة ، ومن مكة إلى المدينة مرات كثيرة ، خرجت من البحر من قرب مدينة « سلا » إلى مصر ماشيا ، ومن مصر إلى الرملة ماشيا ، ومن الرملة إلى بيت المقدس ماشيا ، ومن الرملة إلى عسقلان ، ومن الرملة إلى طبرية ، ومن طبرية إلى دمشق ، ومن دمشق إلى حمص ، ومن حمص إلى أنطاكيه ، ومن انطاكية إلى طرطوس ثم رجعت من طرطوس إلى حمص ، وكان بقى علىّ شيء من حديث ابى اليماني ، فسمعته ، ثم خرجت من حمص إلى بيسان ، ومن بيسان إلى الرقة ، ومن الرقة ركبت الفرات إلى بغداد ، وخرجت قبل خروجي إلى الشام من واسط إلى النيل ، ومن النيل إلى الكوفة كل ذلك ماشيا هذا فى سفرى الأول ، وانا ابن عشرين سنة أجول سبع سنين ، خرجت من الرىّ سنة ٢١٣ هـ فى شهر رمضان ، ورجعت سنة ٢٢١ هـ ، هكذا نجدهم رحمهم الله تعالى فى رحلاتهم ، وسفراتهم يتنقلون راجلين يقطعون آلافا من الأميال والفراسخ لحفظ سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهذا الدارقطني صاحب السنن يعلن فى بغداد فى الاسواق والشوارع يا أهل بغداد لايمكن لأحد منكم أن يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم مادمت حيا ، وهذا أبو حامد الشرقى صاحب كتاب الصحيح وهو تلميذ نجيب للامام مسلم النيسا بورى كانت حياته كلها حاجزة بين الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا أبو زكريا يحى بن معين نودى فى جنازته بصوت عال مرتفع هذا الذى كان يذب الكذب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا الجبل الناطح والإمام البارع أبو عبد الله أحمد بن حنبل وقف وقفة رائعة مثالية فى الدفاع عن السنة النبوية أمام أكبر حكومة كانت على وجه الأرض حتى قال الامام ابن حبان البستي فيما نقل عنه الحافظ ابن حجر في التهذيب : اغاث الله تعالى به أمة محمد صلى الله عليه وسلم وهذا البخارى صاحب الصحيح الذى اتسم كتابه بأصح الكتب بعد كتاب الله تعالى قال الحافظ فى مقدمة الفتح : قال وراقة محمد بن خراش يقول : سمعت أحيد بن حفص يقول : دخلت على اسماعيل والد ابى عبد الله عند موته

فقال : لا أعلم من مالى درهما من حرام ، ولا درهما من شبهة ، ثم قال الحافظ : حكى وراقة انه ورث من أبيه مالا جليلا ، وكان يعطيه مضاربة ، فقطع له غريم خمسة وعشرين الفا ، فقيل له : استعن بكتاب الوالى فقال : ان اخذت منهم كتابا طمعوا، ولن أبيع ديني بدنياى ، ثم صالح غريمه على أن يعطيه كل شهر عشرة دراهم ، وذهب ذلك المال كله ، ثم قال الحافظ : ومات اسماعيل ومحمد صغير ، فنشأ فى حجر أمه ، ثم حج مع أمه ، وأخيه أحمد ، وكان أسن منه فأقام بمكة مجاورا ، يطلب العلم ، ورجع أخوه أحمد إلى بخارى ، فمات بها . روى نمنجار فى تاريخ البخارى واللا لكائى فى شرح السنة فى باب كرامات الاولياء منه ، ان محمد بن اسماعيل ذهبت عيناه فى صغره ، فرأت والدته الخليل ابراهيم فى المنام ، فقال لها : ياهذه رد الله على ابنك بصره بكثرة دعائك قال : فاصبح وقد رد الله عليه بصره ، قال الفربرى : سمعت محمد بن ابي حاتم وراق البخارى يقول : سمعت البخارى يقول : ألهمت حفظ الحديث وانا فى الكتاب ، قلت : كم أتى عليك اذ ذاك ؟ فقال : عشر سنين أو أقل ، ثم خرجت من الكتاب فجعلت اختلف إلى الداخلى وغيره ، فقال يوماً فيما كان يقرأ للناس ، سفيان عن أبي الزبير عن ابراهيم ، فقلت : يا أبا الزبير : لم يرو عن ابراهيم (١)، فانتهرني ، فقلت له : ارجع إلى الأصل ، ان كان عندك ؟ فدخل فنظر فيه ، ثم رجع فقال : كيف هو ياغلام ؟ فقلت : هو الزبير وهو ابن عدى عن ابراهيم ، فأخذ القلم ، وأصلح كتابه ، وقال لى : صدقت ، قال : فقال له انسان ابن كم حين رددت عليه فقال : ابن احدى عشرة سنة . قلت : هذه الرواية تدل على عظمة الرجل العظيم فى الإسلام فى هذه السن المبكرة يوجهه الله تعالى إلى أن يقف هذا الموقف العظيم من معرفة الرجال الذين نقلوا الينا هذا العلم الشريف ، وكان لما ورث من أبيه من مال حلال اثر عظيم فى تربيته ، وتنشئته ثم قال الحافظ : قال البخارى: فلما طعنت فى ست عشرة سنة حفظت كتب ابن المبارك ووكيع ، وعرفت كلام هؤلاء يعني أصحاب الرأى قال : ثم خرجت مع أمي واخى إلى الحج ،

١ ـ كذا في الاصل

قلت : فكان أول رحلة على هذا سنة عشر ومائتين ولو رحل أول ماطلب لأدرك ما أدركته أقرانه من طبقة عالية وان كان أدرك ماقاربها كيزيد بن هارون ، وابى داوود الطيالسي ، ثم قال ، فلما طعنت فى ثمانى عشرة فضنفت كتاب قضايا الصحابة والتابعين، ثم صنفت التاريخ فى المدينة عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم وقال ،وكنت أكتبه فى الليالى المقمرة ، قال :وقل اسم فى التاريخ الا وله عندى قصة إلا اني كرهت ان يطول الكتاب ، ثم ذكر الحافظ رحلة البخارى فى طلب الحديث ، تلك رحلة عظيمة تعطينا فكرة أصيلة عن اهتمامهم البالغ ، وسعيهم الحثيث لحفظ سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذه هى جهود فردية قام بها هؤلاء رحمهم الله تعالى في هذا الميدان العظيم واما الجهودالجماعية فإنها جهود كبيرة شامخة لايتسع لها هذا الوقت وارجو أن أوفق لها ان شـــاء الله فى حلقة قادمة .

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .